سلسلة الأعداد الخاصة جداً

روائع د. أحمد خالد توفيق

البحث عن جسر

الكتاب التاسع

سلسلة الأعداد الخاصة جداً

روائع د. أحمد خالد توفيق

الكتاب التاسع

البحث عن جسر

البحث عن جسر

منذ عام أو عامين طلبت المدرسة من ابني جسرًا .. نعم . أنت لم تخطئ قراءة الكلمة .. طلبوا منه نموذج جسر كشرط للنجاح في مادة المجالات. اقترح المدرس – أو المستر حسب التعديل الأخير - على الطلاب أن يبتاعوا الجسر من مرسم معين حدده لهم بالاسم والعنوان. وقد حاولت أن أصنع الشيء بنفسي في البيت لكن الولد – قليل الأدب – أبدى اشمئزازه من النتيجة وقال إن هذا ليس نموذج جسر، بل نموذج ضفدعة مصابة بسرطان المثانة. هكذا اتجهت إلى المرسم المذكور لأجد رجلاً أصلع راضيًا عن نفسه، يجلس وسط فوضى عارمة ويدخن بكثافة، وحوله عشرات الجسور التي صنعها من الورق المقوى والأسفنج الرغوي، وعرفت أن ثمن الجسر خمسة وعشرون جنيهًا دفعتها في صمت. وفي يوم الامتحان كان الشارع يعج بالطلبة الذين يحمل كل منهم جسرًا لا يختلف عن الذي في يد ابني، وخطر لي مدى سخف هذه الخدعة .. المدرس يعلم جيدًا أن كل هؤلاء التلاميذ ابتاعوا جسورهم من المكان ذاته ، ويعرف أنه ما من واحد منهم ضيع وقته في نهاية العام في صنع جسر معقد التركيب يفوق قدراته كطفل. في العام التالي عرفت

من ابنة خاله التي تصغره بعام أن المدرسة طلبت منها جسرًا . هذه المرة الجسر يُباع في المدرسة بعشرة جنيهات لمن يرغب !.. هكذا اتضحت معالم اللعبة .. كل الجسور التي سلمها التلاميذ العام الماضي تُباع هذا العام بسعر أرخص، ويمكنني بسهولة تخيل مدرس المجالات يدخن مع الرجل الأصلع الراضي عن نفسه وهما يقتسمان دخل هذه العملية (تذكر عدد الطلاب المهول) !.. وعلى الأرجح سوف يُباع هذا الجسر العام التالي بخمسة جنيهات .. ابنتي مشكلة أخرى لأن مدرستها لا تكف عن طلب هذا الشيء المدعو (نشاطات) .. كأنها لا تفعل أي شيء في البيت سوى تصميم هذه النشاطات، وفي النهاية هم يخدعون أنفسهم أو يخدعوننا لا أدري، لأنهم بالقطع يعرفون أن أولياء الأمور هم الذين يسهرون ليلاً يصنعون هذه الأشياء، أو هم يتوجهون إلى أقرب مكتب لتصميم الوسائل التعليمية لدفع مبلغ لا يقل عن خمسين جنيهًا شهريًا لشراء وسائل جاهزة .. التلميذ لم يتعلم شيئًا جديدًا .. الأبوان أضاعا وقتًا ومالاً .. لم يستفد سوى المدرس الذي يهمه إرضاء المفتش جدًا، وصاحب المكتب طبعًا .. وسط هذه الأزمات الاقتصادية الطاحنة، والجو المكفهر المنذر بمجاعة أو ما هو أقرب لها، تشعر بأن أمرًا غير مكتوب صدر لكل واحد ممن تقابلهم: تصرف .. فلينج كل بنفسه .. هكذا يلعب الكل على الكل ويحاول الكل خداع الكل.

أنت تعرف أن فاتورة الكهرباء مبالغ فيها، وفي كل شهر يمر موظف يتفقد عداد المياه في بيتي ويقرأ المكتوب، ثم تأتي الفاتورة لتجد رقمًا ثابتًا باهظًا مع ملحوظة من مرفق المياه ان العداد معطل .. أقسم بالله أنه ليس معطلاً ولو كان كذلك فلماذا يأتي الموظف أصلاً وما الذي يدونه في كل مرة ؟.. إنهم يسرقونك فماذا تفعل ؟.. تذهب لهذه المصلحة أو تلك ليكتشف الموظف أن ورقك ناقص والأختام غير واضحة، فتغادر المكان محنقًا لتبدأ رحلة أوديسيوس من جديد، لكنك على الباب تقابل دومًا ذلك الأخ الذي يعرض عليك إنهاء أوراقك مقابل عشرين جنيهًا .. معه موتوسيكل يصر على تسميته (مكنة) دائمًا وهو ينطلق به ليقوم بعمل غامض ما، والمهم أنك تأخذ أوراقك كاملة خلال نصف ساعة .. طبعًا من الواضح أنه يقتسم المبلغ مع الموظف الذي رفض أوراقك .. جربت هذا الموقف في أكثر من مكان، حتى إنني صرت أبحث عن ذلك الرجل في لهفة لينهي آلامي. ذات مرة قابلت احدهم في هيئة الكهرباء فصحت في فرحة : "انت فين يا عم ؟" إن كانت الرشوة قد صارت دينًا فلماذا تُمارس طقوسه بشكل سري ؟.. لماذا لا تنتشر المعابد في كل مكان ؟. لماذا لا يضعون لافتة تقول: "على السادة الراغبين في دفع الرشوة أن يتجهوا إلى مكتب الرشاوي جوار دورة المياه مع الشكر" ؟. المشكلة هي انني لست خبيرًا في هذه

الأمور ولا أعرف الموظف المرتشي من الشريف. واحد من رفاقي قال لأحد موظفي المرور بلهجة الخبير الذي فهم الحياة: "اتوص بينا وبعدين احنا مع بعض .. هه ؟ ..". هنا ارتفعت جاعورة الموظف ترج البناية رجًا: "مع بعض يعني إيه يا أستاذ؟؟؟" هذه هي المشكلة .. ما دامت محاربة الرشوة مستحيلة فلماذا لا يسهلون الأمور على من لا يعرفون كيف يرشون ؟.. وماذا عن التعساء الذين لا يعرفون كيف يرتشون ؟.. أذكر كاريكاتورًا قديمًا جدًا للرائع حجازي يمثل موظفًا مكفهرًا مقطب الجبين، ومواطن يقول همسًا لصاحبه: "عصبي وبيكره نفسه وبيعامل الجمهور معاملة زي الزفت، لأنه شريف ومش بياخد رشوة !" هناك لكل شيء في مصر باب خلفي .. المهم أن تدفع .. ولا أستطيع أن أرجمهم بحجر إلى هذا الحد لأن الحياة قد صارت مستحيلة على شريحة لا بأس بها من الناس، وحتى مبلغ الألف جنيه شهريًا الذي كنا نعتبره الحد الأدنى لأمان الشاب صار بلا قيمة تقريبًا . معنى هذا أن هؤلاء لا يجدون قوت يومهم، لكنهم لم يخرجوا على الناس شاهرين سيوفهم بل هم يمدون أيديهم من تحت المنضدة .. لقد اختلط مفهوم الصواب والخطأ تمامًا، حتى أنني أتساءل عن الصورة التي كان يوسف إدريس سيكتب بها رواية (العيب) لو كتبها اليوم. هناك باب خلفي للتفوق الدراسي اسمه (الآي جي) حيث

تدفع مبالغ فلكية من المال لتضمن لابنك مكانًا في كلية محترمة. عندما يحصل الجميع على ١٢٠% فضياع درجة واحدة من ابنك في الامتحان معناه أن مستقبله قد انتهى. الكل سعيد والكل يربح من هذا النظام الدراسي ما عدا الأسرة طبعًا .. هناك سائق سيارة أجرة في طنطا قال لي في حماس: "ربنا يخليلنا الآي جي يا باشمهندز" . لأنه يوصل عشرات الطلاب إلى القاهرة عدة مرات أسبوعيًا .. هناك دروس خصوصية كذلك .. وفي النهاية يكتشف الأب القادر أنه لم يعد قادرًا إلى هذا الحد. لكنه الباب الخلفي كالعادة .. هكذا يجد الأب أن عليه أن يسرق من مكان ما .. غالبًا يسرق من مدرسي الآي جي أو سائقي سيارات الأجرة .. حدثني ابني عن نظام تمهيدي جديد للآي جي يبدأ من الصف الثالث الإعدادي، واقترح أن أدرس الموضوع بجدية !... لقد وجد هؤلاء القوم إنهم لم يعتصروا ما يكفي من مال، فقرروا أن يغروا الناس بوجود باب خلفي آخر .. في عملية التعليم بالذات تلعب عدة عوامل، منها الخوف من ألا تكون قد قدمت لابنك كل ما يجب .. الخوف من أن يسبقه رفاقه .. من هذه العوامل أنك تعرف أن المستقبل مدلهم أصلاً ويجب أن تعطي الطفل كل سلاح ممكن .. منها الفشخرة والرغبة في التميز .. المهم أنك تحتاج لقوة شخصية كاسحة كي تتجاهل هذا الاختراع الجديد. هذه لعبة لا تخيب أبدًا .. سوف أبحث عن شيء

اختلسه أو أسرقه، فإذا وجدت فلسوف أقدم أوراق الولد في هذا النظام التعليمي الجديد، وإن لم أجد فلسوف أكتفي بصفعه مع تذكيره بأن أبي لم يترك لي سوى اسمه والتربية الحسنة، تلك التركة التي أشعر بأنني موشك على فقدها لو استمرت الأمور كما هي !

مالكولم إكس

درس لا يُنسى من الستينات

"لو لم تكن متأهبًا للموت من أجلها، فلتحذف لفظة

(الحرية) من قاموسك"

"لو اضطررت للتوسل إلى رجل آخر من أجل حريتك فأنت لن

تنالها أبدًا .. الحرية شيء يجب أن تناله أنت بنفسك"

مؤخرًا عرضت قناة إم بي سي ٢ الفيلم المثير للجدل

(مالكولم إكس) والذي أراه للمرة الأولى .. قرأت عن الرجل الكثير لكنني أعترف أن الفيلم البديع الذي أخرجه (سبايك لي) قدم بانوراما وافية لحياته بضعفه وقوته وصراعاته، وبتلك اللغة

التي لا يستطيع أي فن أن يقدمها سوى السينما .. منذ اللحظات الأولى للفيلم ترى مشهد العلم الأمريكي

يحترق فلا يبقى منه إلا حرف X بينما ترى المشهد الدامي

الذي صار شهيرًا جدًا .. رجال الشرطة البيض يضربون

(رودني كنج) أمام كاميرا أحد الهواة .. هذا المشهد

حدث عام ١٩٩١ ومعناه أن المشكلة لم تنته بعد،

برغم أن مالكولم إكس مات قبله بربع قرن..

يتفق (سبايك لي) مع (مالكولم) في أشياء كثيرة

أهمها المقت المطلق للرجل الأبيض .. هناك نوع

من العنصرية المضادة لدى (سبايك لي) الذي يظهر

البيض في أفلامه وحوشًا آدمية أو مجانين، وهناك فيلم له

لا أذكر اسمه يطارد فيه المدير الأبيض مبرمج الكمبيوتر الزنجي

العبقري متوسلاً له ألا يستقيل، وهذا التوسل يصل

لدرجة الزحف على الركبتين .. والسبب

أن المدير فصل سكرتيرة العبقري الأسود دون أن يستأذنه ..!

في هذا الفيلم نرى نشأة مالكولم إكس التي لم تترك له

سبيلاً سوى مقت البيض .. نشأة في

ولايات الجنوب شديدة التعصب وسط الأعناق

الحمراء كارهة السود .. له ستة أعمام قتل

البيض خمسة منهم .. أبوه القس الذي يدعو

إلى عودة السود إلى أفريقيا يتلقى هجمة من عصابات

الكوكلوكس كلان تحرق بيته، ثم يلقى حتفه على قضيب الترام في ظروف غامضة قيل إنها انتحار (من المسلي أن نتخيل أن أبي

هشم رأس نفسه ثم نام على قضيب الترام لينتحر).. الأم نفسها

شبه بيضاء لأن رجلاً أبيض اغتصب أمها .. لهذا تكره

لونها ولهذا تزوجت رجلا شديد السواد ... هنا يحكي

مالكولم عن عقدة الانتصار الجنسي كما أبدع في وصفها

الطيب صالح في (موسم الهجرة للشمال).. كل زنجي

يتوق إلي أن يظفر بامرأة بيضاء ليقهر كبرياء الرجل الأبيض ..

الحكومة الأمريكية تنزع الأطفال الثمانية من أمهم لأنها

غير مؤهلة لتربيتهم، ثم الأم تجن وتموت في مصحة ..

هذه هي الخلفية الأسرية التي خرج منها مالكولم ..

بيت متماسك متدين لكن الحكومة الأمريكية لم تتركه كذلك ..

_"في المدرسة كانوا يعتبرونني قطًا أو كلبًا بلا مشاعر،

وكانوا ينادونني بلفظة Nigger (زنجي) مراراً حتى

حسبتها اسمي .." لفظة Nigger لها خلفيات سيئة جدًا

تعود لأيام العبودية، وهي تختلف كثيرًا عن لفظة Negro المهذبة ..

لا سبيل لدى الفتى الأسود – الذي حرمته المدرسة

من أن يكون محاميًا - إلا أن يسير في الطريق الذي سار

فيه كثيرون قبله: الجريمة .. المخدرات .. النساء البيض ...

والنصر الرخيص الذي يحققه هو أن ينام مع امرأة بيضاء

ويقهرها بفحولته ويهينها ويرغمها على تقبيل قدمه ..

وهو لا يكف عن التساؤل وهو يرمق الأوغاد السود والعاهرات

ألم يكن من الممكن أن يأتي من بين هؤلاء مكتشف علاج

السرطان ؟.. كم طبيبًا ومحاميًا ومهندسًا فقده المجتمع

بفقد هؤلاء ؟في السجن – بتهمة معاشرة امرأة بيضاء

والسرقة – يقابل أهم رجل في حياته .. الرجل الذي يحدثه عن الإسلام وعن (أليجيا محمد).. (أليجيا محمد) هو زعيم أمة

الإسلام التي تدعو لنشر الدين الإسلامي بين زنوج أمريكا،

وهي صيغة غريبة نوعًا من الإسلام، وحتى مظهر (أليجيا محمد)

غريب كما نراه في الصور بالكاسكيت على رأسه الذي رسمت

عليه الشمس والقمر والنجوم .. لكن هذه الصيغة تقنع الشاب

الذي ولد من جديد ..في السجن يتعلم الفتى أن يقرأ الكتب ..

ويكون أول ما يفعله هو استكشاف لفظة (أسود) في القاموس .

. إنها ترتبط بمعنى شرير .. عفن .. منفر .. قاس .. قذر ..

الابتزاز هو Black mail .. يقرر اكتشاف لفظة أبيض فيجد

أنها عكس الأسود في كل شيء .. هذا القاموس كتبه

رجل أبيض كما هو واضح .. من قال إن المسيح أشقر

أزرق العينين ؟... المسيح عبراني .. لهذا يوجد احتمال

لا بأس به أن بشرته داكنة ..

يخرج الفتى المسلم من السجن وقد صار ألد أعداء البيض،

وعداوته تتخذ صورة الحرب مع دعوة انفصالية قوية ..

"نحن مائة مليون أسود انتزعوا من وطنهم وبيوتهم وبيئتهم

ودينهم وألقوا هنا في أمريكا الشمالية ضائعين ...

أنا لست جمهوريًا .. لست ديمقراطيًا .. لست بالأحرى أمريكيًا

... أنا أسود .."يخطب في السود يدعوهم إلى إنقاذ ما تبقى

من أرواحهم: "أنتم سود .. سود رائعو الجمال .. الرجل

الأبيض يحاول تخديركم بالنساء والخمور والمخدرات ..

كل زجاجة خمر إنما هي مختومة بخاتم حكومي

أمريكي .. إن عصابات الكوكلوكس كلان التي كانت تحرق

بيوتكم في الماضي ما زالت موجودة . فقط هم استبدلوا

بالملاءة ثياب الشرطة .. " وفي حوار تلفزيوني يقول: "هناك

نوعان من الزنوج .. زنجي المزرعة وزنجي البيت .. زنجي البيت

يلبس ويأكل جيدًا وتجده يحب سيده أكثر مما يحب السيد نفسه ..

هذا الزنجي يدافع عن سيده ويقول بصدق إنه لا توجد مشكلة .."

خطب (مالكولم) لا تميل إلى التسامح الديني مع الآخر

أو أنصاف الحلول، ولا تخلو أبدًا من تهكم على المسيحية

بدعوتها المفرطة للتسامح، خاصة مع رمز التسامح

الزنجي (مارتن لوثر كنج).. إنه لا يقبل المسلم الأبيض

ولا المسيحي الأسود .. ثم يبلغ ذروة تطرفه عندما يدعو

السود صراحة إلى تكوين دولتهم الخاصة .. أن يصير البيض

والسود دولتين متجاورتين ..

وفي مشهد مهيب يسيء رجال الشرطة معاملة أحد

السود .. هنا يتجه مالكولم إلى قسم الشرطة ليرى

الرجل .. يحاول رجال الشرطة البيض طرده باحتقار على

طريقة: اغرب عن هنا .. لكنه يطلب من الضابط أن

ينظر من النافذة.. يا للهول !... الشارع كله يحاصره

السود .. يرتعد رجال الشرطة وينقلون المتهم إلى

المستشفى لعلاجه من جراحه، فيمشي السود في

مسيرة شبه عسكرية نحو المستشفى ليطمئنوا على

أخيهم .. فقط هنا يحاول الضباط البيض فض التجمهر،

فيشير مالكولم بإصبعه لرجاله فيبتعدون في صف واحد

منظم .. وكما يقول الضابط لصديقه: "هذه سلطة

مذهلة بالنسبة لفرد واحد !"

نفوذ مالكولم يتزايد .. هذه هي الفترة التي أطلق

فيها على نفسه اسم (إكس).. إكس الحرف الذي

يرمز للمجهول .. هو لا يعرف اسمه الحقيقي ولا من

أين جاء من أفريقيا، لهذا يعطي نفسه رمز المجهول .. دعك

من أن حرف X يذكره بالوسم الذي كانوا يحرقونه في

جلد العبيد. ولسوف نلاحظ أن أكثر أتباع جماعة أمة

الإسلام يحملون حرف X بدلاً من الاسم الثاني ..

ترتبط حركة مالكولم بجماعة أمة الإسلام و(أليجيا محمد)

الذي يجوب مالكولم البلاد يبشر بتعليماته كأنه رسول،

ويساعد في هذا طلاقة لسان مالكولم وثقل نطق أليجيا

محمد .. إنه يلعب ذات دور هارون مع سيدنا موسى

أو هكسلي مع داروين أو هالي مع نيوتن .. وهنا

نلمح صيغة التقديس الزائد التي يتعامل بها معه، فأليجيا

هو الحكمة المطلقة .. وهو الذي يعرف كل شيء، وهو

لا ينطق عن الهوى .. تلك هي المشكلة ، فكل

إنسان قابل للمناقشة والنقد ..

لكن مالكولم سوف يدفع غاليًا ثمن هذا الحماس

وهذا التفويض المطلق .. وسط دوامة التقديس

ونشوة الثورة هذه يكتشف أن أعضاء أمة الإسلام

كدسوا الثروات، ويكتشف ان أليجيا محمد أنجب طفلين

غير شرعيين من سكرتيرتين لمكتبه، ويكتشف أن

اليجيا يكرهه بسبب بريقه المتزايد وسط السود ..

تأتي الرحلة التي قام بها مالكولم إلى السعودية للحج

والتي كانت منحنى مهمًا في حياته .. في هذه الرحلة

التي أذابته روحيًا اكتشف انه جزء من كيان ضخم عملاق،

وأن هناك مسلمين أكثر بياضًا من الثلج، وأنه لا يستطيع

أن يرفض الآخرين لمجرد أنهم ليسوا سودًا .. "لقد كنا

نتحرك في ثورتنا مخدرين كأننا الزومبي، لكني بدأت أفيق

وأفهم".. لقد أفاق من عالم (أمة الإسلام) ليدخل الإسلام

الحقيقي .. من الطريف أنه تعرض لمشاكل جمة في المطار

لولا أنه اتصل بابن عبد الرحمن عزام، وسرعان ما جاءه

الأمير فيصل في الفندق ليبلغه بأنه ضيف على المملكة ..

في هذه الرحلة إلى الشرق وأفريقيا يمر مالكولم بمصر ..

لا ينسى الفيلم أن يرينا لمحة من زحام الناس حوله وفضولهم،

وبائع الطماطم الذي يعرض عليه شراء ثمرة الطماطم بعشرين

جنيهًا – في الستينات – وهي عادة خداع السائح التي

لم يتخل عنها المصري قط !

لقد تغير مالكولم فعلاً.. لم يعد يرى الإسلام بالمفهوم العنصري

الضيق لرجل أسود يريد الانتقام، بل هو يراه بمنظور واسع

يشمل كل البشر.. وكما قال: "عندما كنت في مكة استطعت

لأول مرة في حياتي أن أطلق على رجل أبيض أشقر

الشعر لفظة (أخي)".. وحينما عاد كان اسمه الجديد

هو (الحاج مالك)..

هنا تأتي لحظة الصدام مع جماعة أمة الإسلام

.. (مالكولم) القوة الضاربة للجماعة صار عدوًا لها .. وأي عدو !!!

يتلقى عدة تهديدات بالقتل من ذلك التحالف غير

المقدس بين البيض والمستفيدين من جماعة أمة

الإسلام .. هناك صورة شهيرة جدًا له في تلك

الفترة وهو يحمل بندقية آلية ويسترق النظر من

خصاص النافذة .. وفي هذه الفترة اعترف أحد خلصائه

بأن جماعة أمة الإسلام كلفته بزرع قنبلة في سيارة مالكولم ..

يتحرك مالكولم نحو نهايته التي يعرفها ويتوقعها

ويوشك أن يعرف موعدها (٢١ فبراير ١٩٦٥) ... نفس السيناريو

الذي عرفناه مع حسن البنا عندما عرف أن الحكم بإعدامه

قد صدر من القصر.. وفي خطبة عامة له في نيويورك

يحدث أحد الأشخاص جلبة تستجلب انتباه الحراس،

وفي اللحظة التالية يهجم عليه من يفرغون في

جسده عشرات الطلقات ويفرون .. هناك من تم

اعتقالهم لكن الفوضى التي صاحبت الحدث ظلت قائمة

حتى اليوم، وما زال الكثيرون يتساءلون: من قتل

مالكولم إكس حقًا ...؟

القصة تثير العديد من علامات الاستفهام، وفيها مباحث

كثيرة تذكرنا بحالنا .. ما النتيجة المحتومة للتعصب

ومعاملة مجموعة من المواطنين على أنها من الدرجة الثانية ؟

.. ما خطر الانقياد الأعمى وتقديس بشر ليس نبيًا أو رسولاً ؟

.. ما خطر غياب المحاسبة عمن يفترض أنهم ضمير المجتمع ؟

.. لماذا يقتلوننا في اللحظة التي نفقد فيها تعصبنا ؟.. ثم –

الأهم – برغم تعصب المجتمع الأمريكي فإننا ننحني احترامًا

لتفتحه، وسماحه لرجل يدعو إلى تدمير أمريكا والحرب على

البيض والانفصال بأن يظل حيًا حتى التاسعة والثلاثين !.

ولو تركوه لأمن الدولة عندنا لانتهت المشكلة بعد أول خطبة له !

أسئلة لا حصر لها .. وفيلم لا يمكن نسيانه .. وشخصية

ما زالت حية ساخنة إلى اليوم .. لقد تغير الكثير لكن

(مالكولم إكس) ما زال حيًا .. مشاهد ضرب رجال

الشرطة لرودني كنج تقول إنه ما زال حيًا ..!

شعث مفارقنا !

القبلية ...

من قال إننا تخلصنا منها ؟...

بيت الشعر العربي القديم الذي يقول:

شعث مفارقنا .. تغلي مراجلنا
نأسو بأموالنا آثار أيدينـا

هذا البيت تلقيناه جميعًا في المدرسة، وقال لنا مدرسونا – بنبرة إعجاب لا شك فيها - إنه نموذج طيب للفخر عند العرب .. تأمل مدى الاعتزاز بالنفس ؟... إن مفارقهم مشعثة من القتال، ولكن مراجلهم لا تكف عن الغليان كناية عن الكرم .. وهم يؤذون الناس باستمرار لكنهم يدفعون التعويضات .. هل ترى ؟.. الآخرون ضعفاء فقراء ومنحطو النفوس كذلك.. يقبلون بعض المال لينسوا ما أصابهم من أذى ..

ليس هذا فحسب، فالأخ العربي لا يريد أن ينسى القبلية على سبيل الملل أو التعب أو السهو .. لهذا يقول:

ونشرب إن وردنا الماء صفوًا

ويشرب غيرنا كدرًا وطينا

لماذا تفخر يا أخي بأنك تشرب الماء من النبع صافيًا .. بينما يشرب الآخرون طينًا ؟.. لماذا لا ننظم العملية فيشرب الجميع ماء صافيًا ؟

لكن هذه الروح موجودة في العرب منذ قديم، وكنا نحسبها من سمات الجاهلية، فإذا هي تستمر وتُخلد ونقابلها في كل يوم ... على مستوى الدول وعلى مستوى الأسرة ..

عرفت ذات مرة شابًا رقيق الحال خطب ابنة إحدى تلك الأسر، سأطلق عليها (هـ) لتسهيل الأمور. وكان لها أخ موشك على الزواج بدوره أطلق عليه (م).. صاحبنا رقيق الحال اشترى سجادة أنيقة للصالون من محلات القطاع العام وتركها في شقة خطيبته – كما هي العادة في البيوت المصرية – إلى أن يستكمل تجهيز بيته.. تزوج أخوها (م) قبلهما فذهب

الشاب رقيق الحال لتهنئته .. هنا فوجئ بالسجادة مفروشة في صالون أخيها !.. ابتلع دهشته إلى أن تكلم مع خطيبته على انفراد، وقال لها إن العادة جرت على عدم استعمال أشيائه لأن الأمانة تقضي بهذا أولاً، ولأن هذا فأل سيئ ثانيًا، ولأن أحدًا لم يستأذنه ثالثاً، ولأن المعارف المشتركين لن يصدقوا أبدًا أن هذه سجادته هو يوم يرونها في صالون بيته، وسوف يفترضون أن أخاها هو الذي أعان الشاب الرقيق الحال بإهدائه سجادته ..

هنا تحولت خطيبته الرقيقة إلى شيء يشبه مصاصي الدماء، وقالت له إنه: لا يجب أن يقول هذا (عنا) وذلك (لأننا) نعرف ما نفعل ولأن (أخي) ليس بحاجة إلى سجادتك الحقيرة هذه ...

هكذا ابتلع لسانه لأنه كان يحبها فعلاً ولم يكن يريد تدمير الزيجة لأسباب تافهة كهذه .. وبالفعل صارت زوجته ..

بعد هذا بعامين تزوج أخو زوجة (م) وذهبا لزيارة العريس في بيته .. فوجئت الزوجة الشابة (هـ) بأن النجفة المعلقة في الصالون هي نجفة أخيها (م) الذي سافر لبلد عربي منذ عام .. لقد جرؤت الحدأة على فك النجفة التي اشتراها زوجها بماله كي تعلقها في صالون أخيها !.. وقد راحت الزوجة الشابة (هـ) ترغي وتزبد وتتحدث عن انعدام المثل والنساء

اللائـي لا خـلاق لهـن .. فـذكرها زوجهـا رفيـق الحال في رفق بموقف مماثل حدث منذ عام .. لكنها قالت (إننا) لا نتصرف مثـل هـؤلاء ..(إننـا) نعـرف جيـدًا مـا نفعلـه .. ومـا فعلـه أخـي كـان اسـتعارة بـسيطة لكـن هـذه سـرقة .. ثـم إننـا اعتدنا أن نشرب الماء صفوًا ويشرب غيرنا كدرًا وطينًا ..

ما دمنا نحن مـن يرتكـب الأخطـاء ونـؤذي فكـل شـيء علي ما يرام والحيـاة حلـوة. الجـرم كـل الجرم هو أن يفعل بـك الآخـرون الـشيء ذاتـه لأن هذا معناه أن الخير زال من العالم ..

يوقف الرجل سيارته في عـرض الطريـق فـإذا لامه سائق الأجرة الواقف خلفـه، تنطـع وتنمـر وقال في لهجة منذرة : إنت مش عـارف بـتكلم مين ؟... ويرمقه بتلك النظرة البوليـسية التـي تعلم الكل كيف يصطنعها اصطناعًا .. كأنـه مـن عتـاة رجـال الأمـن ذوي النفـوذ أو مـن مراكـز القوى في الستينات ..

جرب الآن أن تجعل سائق الأجرة يسد الطريق علـى نفـس الرجـل، ولـسوف تـسمع مـواعظ كاملـة عـن قلـة التهـذيب وانعـدام الأخـلاق .. وتنتهي الموعظة بالعبارة الشهيرة: إنـت مـش عـارف بـتكلم مـين ؟.. ثـم يرفـع الموبايـل فـي عصبية وقرف إلى أذنه كأنه يطلب (مـراد بيـه) فلا يقول شيئًا .. فقط يغمغم ثم يغلقه بعصبية أكثر ولسان حاله يقول (أنت إنسان ميت)..

هذا نموذج آخر للشعور القبلي الواضح .. وهذا الرجل لا يفعل إلا أن يمارس عمليًا أسلوب: ونشرب إن وردنا الماء صفوًا ويشرب غيرنا كدرًا وطينا..

كل أسرة تريد أن يكون بين أبنائها الضابط ليكون عندها (إبراهيم بيه) تخالف به القوانين وتمشي على أعناق الآخرين .. كل أسرة تريد أن يكون عندها وكيل النيابة والمستشار فإن لم تجد واحدًا ناسبته أو تمحكت في قريب بعيد .. هكذا تستطيع أن تخالف القانون كما تشاء .. إن إبراهيم بيه لقادر على أن يجعلها تشرب الماء صفوًا ويشرب غيرها كدرًا وطينًا ..

بفضل (إبراهيم بيه) أو (سامي بيه) يمكن للأسرة أن تظفر بلائحة أرقام ذات أربع أو ثلاث خانات .. هكذا لا يجرؤ شرطي واحد على الاعتراض ويمكنها إيقاف سيارتها في الممنوع وتهدد من تريد..

لكن حدث بلا حرج عما يحدث لو أوقف واحد من قبيلة أخرى سيارته في الممنوع.. عندها تكون الطامة الكبرى .. أمال إحنا متخلفين ليه ؟

شعث مفارقنا .. تغلي مراجلنا ...

دائمًا (نا) الدالة على الفاعلين .. دائمًا (نحن) و(إحنا) و(عندنا) و(بتاعنا).. والزوجة التي فقد زوجها الوزير منصبه في التعديل الوزاري، فأصيبت بانهيار عصبي لأن كشك الحراسة أمام البناية قد تم رفعه .. كانت قد اعتادت أن يكون هذا (كشكنا) و(حراستنا) و(وزارتنا).. لهذا لم تتحمل فقد هذا الهيلمان لتصير كالرعاع الآخرين الذين لا يوجد كشك حراسة على بابهم ..

ونشرب إن وردنا الماء صفوًا

ويشرب غيرنا كدرًا وطينا

والمشكلة في مصر أن الأمر تجاوز مجرد لذة قهر الجيران .. إن النجاح الاجتماعي صار يقترن اقترانًا قويًا بالقدرة على خرق القوانين .. مش إحنا .. القانون للفقراء والبسطاء (الذين يشربون كدرًا وطينًا)... أما نحن ففوق القانون ..لهذا كما ذكرت وجد مثال (مش عارف إنت بتكلم مين)... واصطنع الجميع ذلك الطابع المتكبر الغامض كأنهم من رجال أمن الدولة شديدي الخطر، برغم أن هؤلاء لن يلفتوا الأنظار لأنفسهم في إشارة مرور أو طابور مصرف لمجرد التفاخر..

نحن .. نحن ومن بعدنا الطوفان ..

كيف يجرؤ هذا الشرطي على إيقاف سيارتي ؟... أتراه يحسبني من الآخرين ؟.. ألا يعرف أنني من (بني مخزوم) ؟... كيف يعاقب هذا المدرس الفقير ابني في المدرسة ؟.. ألا يعرف ابن من هو ؟... لقد تعبت كثيرًا حتى أبلغ مكانة تسمح لي بمخالفة القانون ولن أسمح لواحد من قبيلة أخرى بأن يحاسبني ..

وهكذا تمضي الحياة في مصر .. لا تدري هل هو وباء مستجد أم هو مرض منذ القدم لم نشف به وتظاهرنا بذلك بعض الوقت ؟.. لكننا لن نتقدم أبدًا ما لم نتعلم كيف نمشط مفارقنا ونطفئ مراجلنا إلا عند اللزوم، وننظم ورود الينبوع ليشرب الكل الماء صافيًا ...

شنآن قوم ..

قال لي صديقي الفنان الموهوب: قل ما شئت، لكن أفضل فنان كاريكاتور عرفته مصر بعد صلاح جاهين هو مصطفى حسين ..

قلت له: لكن خطوطه سهلة التقليد، وهناك رسام صحفي معروف لا يفعل سوى أن يقلده حرفيًا حتى أطلقوا عليه (مصطفى حسين تقفيل تايوان)، كما أن هناك جيلاً من الشباب لا يفعل إلا الرسم مثله. قال لي في ثقة: هذا كلام معه لا ضده لأنه بسبق حائز تفضيلاً .. تذكر أن أحدًا لم يرسم ميكي ماوس قبل ديزني .. أي طفل يستطيع بإصبع واحدة أن يعزف (أهواك) لكن أحدًا قبل عبد الوهاب لم يعزفها..

ثم أردف: لقد خلق مصطفى حسين أنماطًا وحلولاً بصرية لا سابق لها .. وبالنسبة لرسم البورتريه هو الفنان الوحيد على مستوى العالم الذي نجح في نقل روح صدام حسين لا ملامحه فقط .. إنه الأستاذية تمشي على قدمين ..

تذكرت هذه الكلمات عندما نشر مصطفى حسين ذلك الكاريكاتور الشهير سيئ السمعة، الذي يظهر المعارضة تنبح كالكلاب بينما رجل يقول للآخر إنهم شموا رائحة الديمقراطية فأصابهم السعار .. كاريكاتور فظ وقاس ويفتقر للحنكة، بل إنه يعكس في ثناياه زلة لا شعورية خطيرة تعترف فعلاً أن الشعب المصري يشم رائحة الديمقراطية للمرة الأولى (إذن ماذا كان أزهى عصور الديمقراطية يفعل طيلة أربع وعشرين سنة؟)، وفي هذه النقطة أقر وأبصم أن مصطفى حسين محق. إنها المواقف التي تحمل في ثناياها هشاشة تغري بالهجوم عليها .. مثل ذلك الكاتب اللوذعي في أخبار اليوم الذي نشر مرثية لمبارك لأنه عاجز عن أكل طواجن البامية والمحشي ... أي حمق هذا ؟ !.. لو كنت مكان مبارك لعاقبته بعنف لأن هذا الكلام الساذج يحمل في ثناياه الرد عليه: ونحن نشفق على الرئيس ونريد أن يعود شخصًا عاديًا يأكل البامية!.. وهو ما قيل بالفعل في أكثر من جريدة ..

المشكلة هي أن مدافع (نافارون) انطلقت لتدك معاقل مصطفى حسين .. فجأة صار فنانًا محدود الموهبة لا قيمة له، ولو لم يرتبط

اسمه بالعظيم أحمد رجب لظل نسيًا منسيًا .. صار الرجل طاغية يرمز للفساد يكتنز في بطنه العملاق القرى السياحية وأراضي الدولة ...

إن تاريخ العثرات الصحفية طويل، ومن العسير ألا تجد كاتبًا تورط في شبهة نفاق أو نفاق صريح أو خطأ لا يغتفر .. لدي مقال - أصر على الاحتفاظ به - نشر في مجلة الهلال عام ١٩٥١ للعقاد يمتدح فيه الملك فاروق ويصفه بأنه الشمس التي أشرقت على أرض وادي النيل فأينعت .. عام ١٩٥١ هو عام بلغت فيه روح المصريين الحلقوم من الملك الفاسد وهو ذا كاتبنا الشجاع يمتدحه في حماس مريب .. وماذا عن مقال أنيس منصور الشهير الذي يدعو فيه لإباحة البغاء لحل مشاكل الشباب ؟.. وغير هذا كثير ...

ثم تعال هنا .. منذ متى كان ثنائي (رجب / حسين) مناضلاً مدافعًا عن الحريات ؟... عندما صدرت التعليمات من فوق – أيام كامب ديفيد - رسم مصطفى حسين الزعماء العرب يجلسون على قصاري الأطفال، ورسم صدام حسين يقتل ضحاياه بالغازات السامة الخارجة من معدته، ورسم الملك حسين أيام حرب الخليج الثانية يتذوق الحليب من ثدي امرأة

حسناء ليتأكد من صلاحيته لأطفال العراق .. وعندما تغيرت التعليمات صارا مدافعين عن الحريات وأكبر منتقدين لرؤساء الوزارات (الوزارة في المغارة) ورسوم مصطفى حسين عن الرزاز وزير المالية الشهير بالجباية تكفي لملء مجلد كبير ..

المهم أن كل هذه اللوحات كانت تحمل العبارة (فكرة أحمد رجب).. وهذا يعني أنهما كانا موظفين لدى الدولة لا أكثر ولا أقل، ولم (ينحرف) مصطفى حسين فجأة لأن الكاتب الكبير تخلى عنه .. ويقال إن هذا الكاريكاتور الذي اغضب المعارضة هو اعتذار من الفنان عن كاريكاتور سابق أظهر فيه مصر امرأة انتفخ بطنها بالديمقراطية وتساءل إن كان هذا حملاً كاذبًا أم لا .

مشكلتنا هي أننا لا نقيم بعضنا البعض بموضوعية .. أتمنى أن نقول: هذا فنان رائع لكنه ساذج سياسيًا .. الكاتب الفلاني عظيم الموهبة لكنه فاسد سياسيًا .. لكننا نحكم على الأمور أيديولوجيًا ومن اللحظة الأولى، ونعيب بعد هذا على خصومنا أنهم يفكرون بالكيفية ذاتها .. إنهم لا يبالون بمفكرين من طراز جلال أمين وفهمي هويدي وعبد العظيم أنيس لأنهم ليسوا من معسكر الحكومة كأن هذا يكفي لجعلهم ضحلين.. ونحن ننزع تاج الشعر عن شاعر لمجرد أنه يحب الكتابة عن عيون حبيبته ولا يكتب عن معاناة البروليتاريا ..

تأمل نتائج مسابقات القصة التي يكون المحكمون فيها ذوي ميول يسارية .. فيلم فجر الإسلام جيد ومحكم لكننا نعتبره سقطة من سقطات صلاح أبو سيف لمجرد أننا نختلف معه أيديولوجيًا .. لماذا ملأنا الدنيا صراخًا عندما قال بوش: من ليس معنا هو ضدنا .. بينما نحن نفكر بالطريقة ذاتها طيلة الوقت ..؟

هذا هو بيت الداء .. عندما نختلف نختلف بعنف ونرفض كل شيء وننأى عن الموضوعية .. مصطفى حسين رسام عبقري بلا شك وكان بوسعه أن ينجح مع أو بدون أحمد رجب .. يمكنك أن تتهمه بالنفاق إذا كان يدرك معنى ما نشره، أو بالخرق إذا لم يكن يدرك .. لكن لا تنتزع منه عرش الكاريكاتور المصري المعاصر من فضلك، بعد ما لاقى جاهين ربه واعتزل حجازي العظيم بإرادته .. يمكنك أن تتهمه بفساد الفكر لكن لا تتهمه بانعدام الموهبة أبدًا ..

ومن جديد نتذكر كلمات القرآن الكريم البليغة الموجزة حين دعانا ألا يبعدنا شنآن قوم عن العدل...

أسعد أيام هدى

عظيمة هي قناة الجزيرة .. قد نختلف معها، وقد نراها منحازة لجهات بعينها ومتجاهلة لأمور بعينها، وقد يتهمها البعض بالعمالة وهي التهمة الجاهزة لوصم كل من نختلف معه .. إن من يختلف معك فكريًا في العالم العربي هو على الأرجح ملحد أو عميل أو شاذ جنسيًا، وبما انه من الصعب اتهام قناة كاملة بالشذوذ الجنسي تبقى تهمة العمالة .. (لم أصدق حتى سمعت بأذني أن هناك من اتهم منظمة حماس وحزب الله بالعمالة لإسرائيل، ولا أعرف المنطق اللوذعي الذي قاد لهذه الاستنتاجات العبقرية)..

أقول إن قناة الجزيرة فتحت نافذة وسط ستار التعتيم الإعلامي الكثيف، ولولاها لما عرفنا عن الانتفاضة إلا أنها (اضطرابات في الأرض المحتلة) كما كانت وسائل إعلامنا ستصفها .. وعن طريق قناة الجزيرة رأينا أبا (محمد الدرة) يصرخ متوسلاً للإسرائيليين كي يوقفوا الرصاص، ورأينا ظهر جثة الرضيعة (إيمان حجو) الذي تحول إلى فجوة دامية كبيرة، بينما حرصت (سي إن إن) وإعلامنا على إظهار الوجه فقط لأنه لا يعبر إلا عن سلام عميق

لرضيعة نائمة، كأن ما فعله الإسرائيليون هو أن ساعدوا الصغيرة كي تنام في سلام ..

هذا التفوق الذي حققته الجزيرة في فلسطين جاء بفضل كتيبة العظماء وليد العمري وجيفارا البديري وشيرين أبو عقلة ومن معهم من مخرجين ومصورين وفنيين ..

حظي الأسود جعلني أفتح قناة الجزيرة يوم الجمعة ٩ يونيو لأرى هذا المشهد الرهيب .. الطفلة (هدى) تجري على رمال الشاطئ وتتعثر وتنهض، وتصرخ في جنون وهستريا : أبويا !

أبوها جثة مفتوحة العينين فوق الرمال، بينما الفتاة تحتضنه .. لا تعرف السبب الذي جعله فجأة يرفض النطق وتلبية ندائها ربما للمرة الأولى.. ثم تجول الكاميرا لترينا ما تبقى من حياة هادئة لأسرة أرادت قضاء يوم على شط البحر في غزة .. العوامة .. دلو الماء .. الجاروف .. ثم أسرة الفتاة التي تحولت إلى عجين من اللحم المتفحم والدم .. العوامة والجاروف أشياء مدنية جدًا مسالمة جدًا يصعب أن تتلطخ بالدماء إلا في فيلم (الفك المفترس) لكن إسرائيل فعلتها ..

ما حدث هو أن سفينة حربية إسرائيلية في عرض البحر قررت أن تمازح هذه الأسرة البريئة بطريقتها .. وكان المذيع يجري التحقيقات ويصور بينما السفينة ما زالت هناك تراقب الموقف في استمتاع واضح ..

إن مشاهد الموت في فلسطين صارت يومية منذ زمن بعيد، لكن عندما يتعلق الأمر برجال المقاومة وقياداتها فهؤلاء أبطال اختاروا وتحملوا مسئولية قرارهم، وكل واحد منهم يتوقع اليوم الذي سيتحول فيه إلى أشلاء متفحمة يخرجونها من سيارة انصهر معدنها .. أما تلك الأسرة على الشاطئ فلم تختر شيئًا على الإطلاق .. كل ما أرادوه هو يوم من المرح بين الموج والرمال، فلابد أن (هدى) الصغيرة صحت صباحًا منتظرة أسعد يوم في حياتها .. ذات المشهد يذكرني بمشهد رأيته منذ ثلاث سنوات لذلك الصغير الفلسطيني الذي جلس وحده جوار النافذة في غرفة نومه يعد ألعابه لعيد الأضحى غدًا، فكان نصيبه طلقة في رأسه من قناص إسرائيلي يهوى المزاح بدوره .. ظرفاء وأولاد حظ هؤلاء الإسرائيليون حقًا ..

أسوأ ما في الأم أن هذه الحوادث صارت كثيرة إلى درجة أنها أذابت بعضها ونسيت.. عندما تملأ جوالاً بالبيض الهش فإنه يحطم بعضه فلا يبقى شيء، وإسرائيل تهوى تكديس البيض بحق ..

من أعطى قائد السفينة الحربية هذا الحق ؟.. إنه ليس ربًا ليقتلني بمشيئته كما يقول العظيم (أمل دنقل).. من أعطاه الحق في أن يحيل حياة هذه الطفلة إلى كوابيس ؟.. من أعطاه الحق في أن يملأ حياتي أنا بالكوابيس ؟

ويخرج بيان الحكومة الأمريكية كما هي العادة .. هم فقط يتفننون في العبارات التي تثير غيظك: "وقال الناطق باسم الخارجية شون ماكورماك إن بلاده تشجع إسرائيل على التفكير في نتائج هذه الأعمال" ..

يا سلام على التعبيرات العبقرية ! .. هذه أعمال أدبية وليست تصريحات سياسية .. لو أحضرت تشيكوف وكافكا وموم وماركيز وشكسبير لصياغة جملة سخيفة تتحسس دربها ولا تجرؤ على أن تقول أي شيء مثل (تشجع إسرائيل على التفكير في نتائج هذه

الاعمال) لاعترفوا بأنهم معدومو الموهبة .. من قبل رأى (بوش) أن قصف غزة بطائرات إف ١٦ (غير مفيد) .. دعك من التعبير العبقري الآخر : "نحن نشعر بقلق" .. طيلة الوقت هم قلقون .. ما كل هذا الحلم وهذا التهذيب ؟.. أتمنى للأخ بوش مصيبة تطيح به كي يشفى من عادة القلق نهائيًا ..

رجالنا لا ثمن لدمهم .. نساؤنا لا ثمن لدمهم .. أطفالنا لا ثمن لدمهم، بينما يبكي هؤلاء الغربيون تأثرًا ويرفعون الأنخاب وتعصر الأخت (أوبرا وينفري) عينيها تأثرًا بعملية إنقاذ درفيل جنح على ساحل فلوريدا، مع الكثير من الـ (واو) والـ (ياي) والـ (أوه) .. أي نفاق هذا ؟

السؤال الأهم هو ماذا يعتقد (عباس) أنه يفعله ؟.. يخرج ليتهم أعمال المقاومة بأنها حقيرة، ويشجب قصف المدنيين الفلسطينيين بلغة عقلانية هادئة .. ما هو دوره بالضبط وهو عاجز عن حماية شعبه، وعاجز عن الاحتجاج على ما يحدث لشعبه ؟

لابد من أن يدفع هؤلاء الثمن .. أما من يتكلم عن الواقعية والتحضر ويطالب الفلسطينيين بأن يموتوا في أدب ورقي، فليخرس من

فضله .. لا ثمن لهذا الدم إلا الدم .. لا .. ليس الدم كافيًا .. لو مات ألف إسرائيلي فلن يعوضوا (هدى) الصغيرة عن أبيها، ولن يعوضوا أم (إيمان حجو) عن رضيعتها ..لكنه أقل شيء ممكن لو كانت هناك عدالة حقًا في هذا العالم.

البحث عن أم أنس

تصاعد الدم إلى رأسي غيظًا عندما طالعت عدد مجلة روز اليوسف الصادر يوم السبت ٢١ مارس ٢٠٠٧؛ فقد وجدت في ملزمة الوسط الملونة مقالاً للصحفية نهاد عزت عنوانه (آخر ما أنتجته ماكينة التخلف والتطرف: جلوس المرأة على الكرسي زنا لا شبهة فيه !).. إلى هذا الحد ؟ المقال يتكلم عن موقع إنترنت يدعى موقع (أم أنس)، التي تصف نفسها بأنها (علامة الدارين الدنيا والآخرة) وأنها (سيدة الزمانين ما مضى وما هو آت)، ثم تصدر فتوى تحرم الجلوس على الكرسي استنادًا إلى أربعة أسباب منها أن السلف الصالح لم يجلسوا على المقاعد ولا الأرائك .. إن في استخدام المقاعد ما يوحي بالإعجاب بالغرب، وهذا يهدم ركنًا عزيزًا من الإسلام هو الولاء والبراء .. لم تقل أم انس هذا فحسب، بل اشترطت عدم تقديم الأزهار للمرضى لأن في هذا تقليدًا للغرب، وأباحت كذلك الكذب والتزوير لـ (نصرة أمة الإسلام ضد بني علمان) .. المقال طويل ومليء بأمثلة صادمة قاسية توحي بأننا نتكلم عن مستشفى مجانين كبير .. وعلى كل حال اعتاد المرء على ألا يندهش لشيء .. لقد أمست الهواية المفضلة للعرب اليوم هي التحريم .. يجب ألا يمر يوم من دون تحريم شيء جديد ، وقد حكى الشيخ الغزالي

رحمه الله عن ذلك الشاب في دولة خليجية محافظة الذي سأله عن رأيه في الخل .. قال الشيخ في دهشة من غرابة السؤال: "هو حلال" .. هنا نظر له الشاب في ألاطة وقال: "دليلك ..؟".. استشاط الشيخ الغزالي غضبًا وقال للشاب المتحمس: "وما دليلك أنت على تحريمه ؟.. الأصل في الأشياء الإباحة .. كل شيء مباح ما لم يكن هناك نص واضح في القرآن والسنة يحرمه.." سمعت الكثير من تلك القصص، ولذا كنت على استعداد لتصديق ما هو أقل فداحة من هذا الخبر، لكن تحريم الجلوس على مقعد بدا لي ضربًا مبالغًا فيه من الشطط.. ضربًا يفوق قدرتي على ابتلاعه أو تصديقه .. هكذا فتحت شبكة الإنترنت وبحثت عن الأخت (أم أنس) هذه حتى وجدت موقعها .. هنا أصابتني الدهشة .. يمكن لأي طفل أن يعرف بعد ثلاث دقائق أن الموقع ليس دعاية للسلفيين بل هو مخصص للسخرية منهم .. هناك من يقلد كلامهم مع كثير من المبالغة (الفارص) التي لا تخدع أحدًا، ولم يرد صاحبها أن يخدع أحدًا، إلا لو كان المنولوجيست يحاول انتحال شخصية عبد الحليم حافظ عندما يقلده.. مثلاً كيف يتحدث موقع سلفي عن المطوّع المريض نفسيًا الذي يتسلى بتحسس أجساد الفتية المُرد، بعد ما يلومهم على عدم صلاة العصر أو حلاقة اللحية ؟.. كيف يذكر حيثيات الكذب فيقول : "وقد استفاد من فتوى جواز شهادة الزور

الشيخ العلامة عامص أبو القرون بعد أن مارس اللواط مع أحد الغلمان" ؟.. أو هذا الخبر عن الشيخ نفسه :" لقد عُرف عن العلامة النحرير والداعية النخرير، عامص أبو القرون، عليه الصلاة والسلام ، أنه يهوى ويعشق ويشم وينشق وله في الغرام مواقف مثيرة، وقضايا يقال بأنها خطيرة" .. هل الموقع السلفي سيقول عن أحد الشيوخ: (صلى الله عليه وسلم) ؟!. .. وهذا الكلام عن ذباب أفغانستان الذي يشارك المجاهدين في طرد الأمريكان: "الذباب !! أعزه الله كما يقوله من ذهب هناك . هذا الذباب العظيم الذي ورد ذكره في السنة المطهرة، ياإخوان، أمره عظيم، أي و الله، إنه ما إن يمس جسد الافغاني أو المسلم حتى يعطيه قوة تضاعف قوة أربعة عشر بعيرا، الله أكبر يا إخوان، و يا سبحان الله، انظروا، إذا لدغ جسد الكافر أماته في الحال وجلب له الأمراض التي تتفشى في بني جلدته. يا الله، انظروا يا إخوان: ذباب، ذباب، يرسله الله لنصرة المسلمين حينما ذل المسلمون!" القصة واضحة إذن ولا تحتاج إلى أمثلة أخرى ..هذا الموقع أنشأه من يريد السخرية من السلفيين .. في موقع آخر سلفي (بجدّ) وجدت من يتهم موقع (أم أنس) بأنه مدسوس من الرافضة.. رأيي أنه موقع أنشأه ملحد يريد أن يتسلى قليلاً، لكنه شخص يعرف المجتمع السعودي جيداً، ويجيد العامية السعودية .. أي إنه شخص (من

الداخل).. . المشكلة هنا ليست في الحرب الأبدية بين الوهابيين وخصومهم، فهذه ليست موضوعنا هنا، ولكنها في الأخت العزيزة محررة (روز اليوسف).. هناك احتمالان لا ثالث لهما: إما أنها لم تتفحص الموقع بدقة وإنما أخذت منه بالضبط ما يناسب وجهة نظرها، وهذا يضعها في قائمة الاستسهال و(الكروتة)، على طريقة المخبر الذي ينتقي كتاب (التنظيم والإدارة) من بين كتب الطالب المعتقل ليثبت أنه ينتمي لتنظيم سري؛ وإما أنها أذكى من ذلك وقد تعمدت تزييف الحقيقة، على طريقة ضابط أمن الدولة الذي يرغب في تلفيق قضية لنفس الطالب البائس .. لا أعرف هل لعبت صحفيتنا العزيزة دور المخبر أم الضابط، لكن القارئ في الحالتين مخدوع، وقد تم تجنيده معنويًا لقضية لا وجود لها أو لم تبلغ هذا الحجم .. لست أدافع عن السلفيين هنا، فهم أقدر على ذلك، لكني أدافع عن مبدأ الدقة والأمانة فيما يُنقل إلى القارئ سواء كانت الحقيقة في صفك أم ضدك .. إن الإنترنت أداة مذهلة لنقل المعلومة، لكنها – للأسف - أداة مذهلة لنقل الخرافات والأكاذيب كذلك . تغريك بالخفة وباستعمال معلومات غير موثقة أو تمت مطالعتها على عجل، ولا يقتضي الأمر إلا الضغط على زر Forward لتسري هذه المعلومة المغلوطة كالنار في الهشيم .. كل خطاب يصلك ترسله إلى ألف عنوان في ربع دقيقة حتى قبل أن

تقرأ محتواه .. شركة هوتميل سوف تلغي خدماتها المجانية قريبًا وعليك إرسال هذه الرسالة لألف شخص ..هذه صورة الفتى الذي تعفن بعد ربع ساعة من دفنه لأنه كان يستمع للأغاني .. أيقونة الدبدوب التي ستجدها ضمن ملفات النظام هي فيروس يهودي خطير تم دسه على ملفات المسلمين .. هذه هي الفتاة التي تحولت إلى سلحفاة لأنها أهانت المصحف .. تم تحليل عينة من مشروب البيبسي الذي سقط على ملاءة الفراش فاتضح أنها مليئة بفيروس سي .. وهكذا .. حتى تشعر بأننا أمة مترهلة لا تفعل أي شيء سوى الجلوس أمام الكمبيوتر وتبادل الأكاذيب والهراء .. النقطة الثانية هي ولعنا بعدم استكمال قراءة أي شيء .. تجد في الصحيفة خبرًا يقول: القبض على الممثلة الفلانية وفي حوزتها مخدرات .. تقرأ الخبر بعناية فتجد أن هذا سيكون دورها في فيلمها القادم ..مجرد لعبة صحفية قديمة قدم الطباعة ذاتها .. لكن الموظفين الملتفين حول طبق الفول الصباحي في المصلحة يتناقلون العنوان باعتباره حقيقة لأنه لا أحد يحاول التدقيق.. هذا هو ما فعلته المحررة سواء بقصد أو دون قصد، وهذا الاستعمال أضعف قضيتها ولم يقوها .. نعم هناك الكثير من التطرف والشطط، لكن هذا التلاعب في الحقائق يجعلك تلقائيًا تقف في صف الضحية لا الجلاد .. وللحديث بقية ....